

جنكيز آيتماتوف والنزعة الإنسانية في أدبه

# خاف أن يفغر فاه المجد الوارم.. كان مؤلماً على نحو رهيب

| إسماعيل مروة

في مثل هذه الأيام احتفلت دمشق العظيمة الشام ب أيام معرضها السنوي، وهو من أعرق المعارض في العالم، معرض دمشق الدولي، الذي ينعقد هذه الأيام.. في مثل هذه الأيام من عام ١٩٧٧ كتَ طالباً في المرحلة الثانوية، وبرزت لدى هواية قراءة الأدب من دون غيره، أذكر أنتي في زياراتي للمعرض كنت أقصد الجناحين الروسي والصيني، وكان يطلق عليه الجناح السوفييتي، وفضل هذين الجناحين علي لا أنساد، فقد كانا يوزعن علينا مجلات الأطفال المترجمة والملونة بالحان، لم تكن نعلم أنها موجهة ثقافية، لكننا تعاملنا منها حتى التعبير بالفصحي، وبالقرب من المجالس كانت المجالس ت تعرض وبأسعار زبيدة تشجيعية، فأخذت بعض كتب ديسنستوسكي

وتشخيصه، وهناك صاحت عيناي أعمال جنكيز آيتماتوف، فتردلت باقتئالها، لأنني لا أذكر اسمأ سوى اسم جنكيز خان، ثم اقتنتيه، وأنا أظن أنها أيام أدبي مختلف مقم بالإنسانية والحب، وفي ذلك الوقت استر دمع الصغير الذي كنت، وبقيت قصته الدهشة داءاً ياغولساري تشنح عاطفي، وأتعزف بأنها منحتي بعد إنسانيـ إن استطعت امتلاكهـ وربما سرت في لوعي، لتخرج بعد عشرين عاماً بقصة كتبتها من حسان شهيد نهايته، وأطلقت عليها «عشراً عمر»، وهي أردت أن أشرف في تكريمه نفسيـ بـ أن أجيـ جـنـكـيـزـ آـيـتـمـاتـوـفـ وجـدـتـيـ أـخـتـارـ أـثـعـتـهـ هـذـهـ،ـ وـأـخـصـ الـنزـعـ الـإـنـسـانـيـ،ـ وـأـنـسـنـةـ الـحـيـوانـ،ـ وـحـيـنـ أـعـدـ قـرـاءـتـهـ عـرـفـ كـمـ كـانـ جـنـكـيـزـ آـيـتـمـاتـوـفـ ماـ تـرـكـهـ فيـ مـنـ أـثـرـ،ـ وـبـتـدـ الـطـرـوـفـ وـالـأـحـدـاثـ عـرـفـ كـمـ كـانـ جـنـكـيـزـ آـيـتـمـاتـوـفـ

وفياًـ.

- الإنسانـ

- الإنسـانـيـ

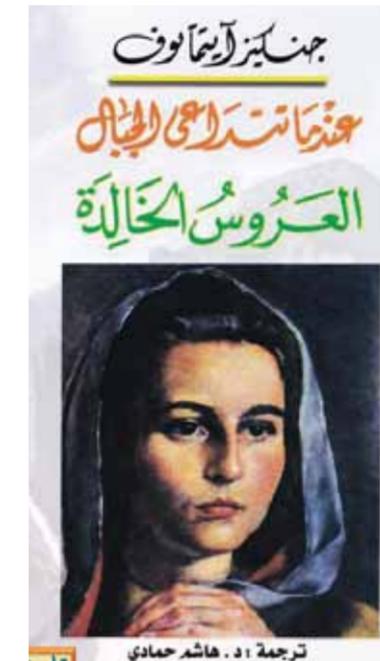
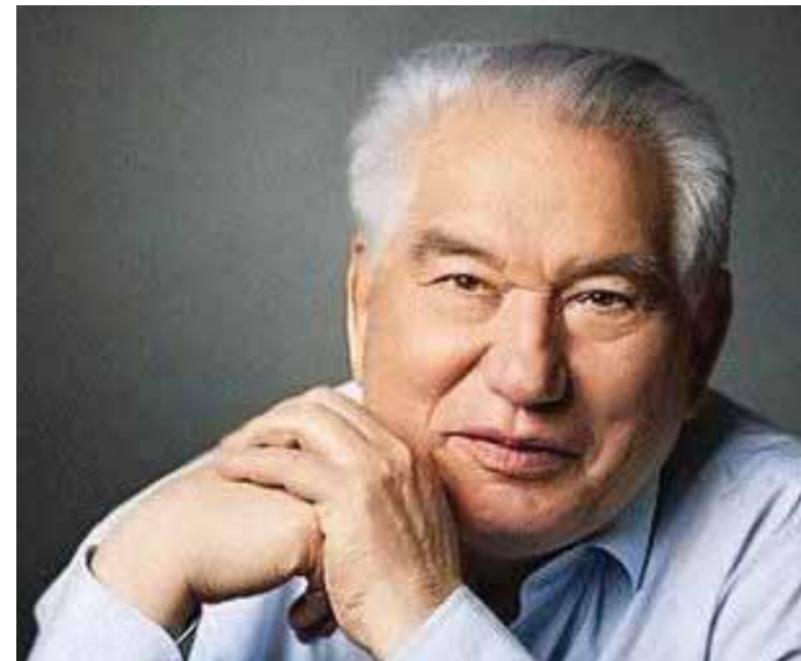
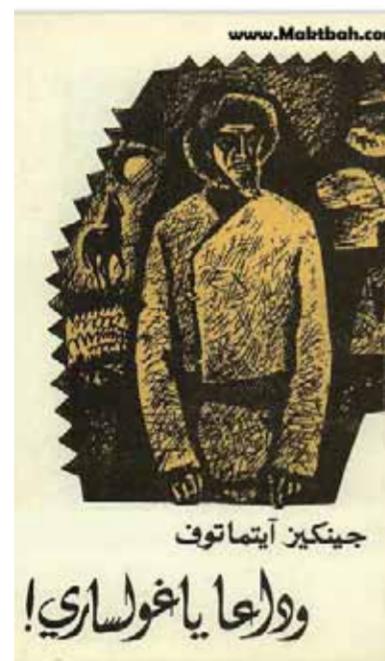
- الوطنـ والـجـمالـ

- الطـرـاجـةـ وـالـبـطـيـعـةـ

- الـبـادـيـ الـتـيـ لـاـتـغـتـلـ أـصـحـابـهـ

شتانـ ماـ بـيـنـ قـرـاءـتـينـ فـصـلـ بـيـنـهـمـ أـرـبعـونـ عـامـ،ـ فـكـتـ أـقـرـأـ لـكـاتـ سـوـفـيـيـتـيـ لأـجـنـيـ أـقـرـأـ لـقـةـ فيـ الـأـدـبـ الـقـرـيـغـيـ أـضـاءـ فيـ سـيـاءـ الـأـدـبـ الـعـالـيـ،ـ لـأـجـنـيـ أـقـرـأـ لـقـةـ فيـ الـأـدـبـ الـقـرـيـغـيـ أـضـاءـ فيـ سـيـاءـ الـأـدـبـ الـعـالـيـ،ـ لـأـجـنـيـ أـقـرـأـ لـقـةـ فيـ الـأـدـبـ الـقـرـيـغـيـ،ـ فـكـلـ مـنـ يـشـارـكـ أـعـلـمـ مـنـ وأـطـلـلـ بـاعـاـ،ـ لـذـكـ أـعـدـ أـيـ آـيـتـمـاتـوـفـ حـيـثـ تـرـكـهـ فيـ مـنـ أـثـرـ،ـ وـبـتـدـ الـطـرـوـفـ وـالـأـحـدـاثـ عـرـفـ كـمـ كـانـ جـنـكـيـزـ آـيـتـمـاتـوـفـ

لـكـهـ شـيـخـ أـدـرـكـ مـاـ قـبـلـهـ،ـ لـمـ يـجـدـ نـبـأـ لـغـوسـاريـ،ـ إـنـ الـقـاـدـهـ فيـ كـوـلـخـوـنـ أـنـ يـعـاملـهـ مـعـالـهـ تـجـاـفـيـ معـ حـرـيـةـ وـدـيـانـ قـرـيـغـيـ،ـ وـعـاـ مـعـ الـشـرـاءـ الـتـيـ حـدـثـتـ عـنـ جـهـتـهـ،ـ هـوـ وـجـدـ يـلـحـقـفـ بـيـوـسـهـ عـلـىـ أـقـلـ تـقـيـرـ،ـ وـلـيـحـاـفـظـ عـلـىـ حـيـاتـهـ،ـ وـفـيـ هـذـهـ إـمـاـجـ إـلـىـ اـعـتـقـالـ وـالـدـهـ،ـ الـمـتـلـدـ بـالـحـدـيـثـ بـالـجـبـرـ وـالـفـارـقـ،ـ رـبـاـ لـمـ يـجـدـ الـوـالـدـ الـدـافـعـ بـعـدـ ذـاهـبـهـ،ـ أـمـاـ الـحـصـانـ فـيـ حـيـثـ الـإـنـسـانـيـ وـالـوـطـنـيـ وـالـوـجـادـيـةـ الـفـيـاضـةـ



## الاختيار والأنسنة

في الرواية افتقد للشّرط الإنساني الذي يبحث عنه تابابي، وأيتماتوف، فهو يتنهى عمله، فيطرد ويؤتي بغيره شاب له القدرة والجلد، يتعلم على يدي الشيخ المتأله، ثم يلطف من سكته وعمله. الشيش يرى ويتكلم، وهذا يشعره باليأس، بل إن الرفاق الذين تلقاهم غولساري في طريقه قد يواقوفون على حشره هو، لو كان في طريقهم في جوف السيارة، أما غولساري عندما فهو مجرد جيفة تترك للكلاب!

الرهوان لم يستمع شيئاً، كانت دقات قلبه متقطعة سمعوقة في رأسه مباشرة، على نحو شخصية أدبية خاصة ومستقلة عن نفسه، مبهور ولا يذهب في سرعة: تومـ تابـ، تومـ تابـ.

استعارات آيتماتوف تتطلّق من بيته الشّيخاء المفتدة، والأنسنة تتطلّق من بيته الكرياء المفتدة، ويعيش في قبة المجموعة، كرامّة أصله في قبة ووطن، وتحسان مستمد من ذاكرة وحياته، يجلّ الحصان، ويضعه في سلام القرغيزي، يجلّ الحصان، ويضعه في سلام الكرياء.

الباحث في التّرجمة الإنسانية، طوبول ويسشكيل يختار واسعاً، ولكن المقام يقتضي إشارات

موثقة إلى هذه النّزعه التي لم تستطع الحياة الآلية أن تتنزعها، وهو مابدأ به الحديث في النّص الأول:

- تضليل من مكان قريب.

- دفعه بخطأه وجعله تشنّم.

- نثرت بلفت ذهابه معاً.

- لم يكن حال توهله للذهاب.

- كان يتشكي شرب الماء.

- أوّلـ لـوـ كـانـ تـسـتـطـعـ سـقـيـهـ.

- لـقـدـ كـيـ الحـصـانـ لـأـلـوـ مـرـةـ فـيـ حـيـاتـهـ.

- يـكـيـ الحـصـانـ تـابـابـيـ وـيـوـ دـادـعـاـ يـاـ غـولـسـاريـ.

ويـكـيـ آـيـتـمـاتـوـفـ فيـ خـلـودـ مـلـحـمـتـهـ الـإـنـسـانـيـ

راحـ غـولـسـاريـ.ـ مـاتـ الشـيـخـ تـابـابـيـ

لـعـادـ آـيـتـمـاتـوـفـ إـلـىـ حـيـنـ قـرـيـغـيـ ليـتمـ

لـحـيـثـهـ بـهـذاـ الـمـرـدـ الـإـنـسـانـيـ.ـ وـهـوـ

لـحـيـثـهـ بـهـذاـ ال